مقدمة الطبعة الأولى

بسم اللّه الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله وصحبه ومن والاه. هذا الكتاب يتناول تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول والثانى، أى منذ سقوط الدولة الأموية (١٣٢ هـ) حتى دخول البويهيين بغداد (٣٣٤ هـ)، لتلبية حاجة طلاب أقسام اللغة العربية فى الجامعات الإيرانية إلى الكتاب الاول فى تاريخ الأدب العباسى.

وسيشمل الكتاب الثانى لتاريخ الأدب العباسى الدول البويهية والسلجوقية والحمدانية والفاطمية، حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ

وسيكون للأدب العربى فى إيران كتاب خاص، كما سيكون للأدب العربى فى الأندلس وللأدب العربى فى عصر الفترة، وللأدب العربى الحديث والأدب العربى المعاصر كتب خاصة حسب المنهج المقرر.

مسيرة الحضارة الإسلامية فى العصر الأموى واجهت معوّقات هائلة تمثلت فى محاولات إذلال الشعوب، والقمع الجسدى والفكرى، وهتك الحرمات والمقدسات وإشاعة التمييز الطبقى والعنصرى، غير أنّ عناصر القوة فى المسيرة تغلّبت على تلك المعوّقات، فتواصلت الحركة الفكرية والعلمية فى شتى ميادين المعرفة، كما أنّ عُنصر «النهى عن المنكر» وهو من مكوّنات الحضارة الإسلامية، استثار الأمة على الأوضاع الفاسدة، واستمرت الثورات حتى اقتلعت الحكم الأموى، رغم كل ما حاول أن يحيط به نفسه من هالة تقديس، ورغم كل ما مارسه من بطش وإرهاب.

ووجدت المسيرة الحضارية لها فى هذين القرنين فرصة ذهبية لكى تقدّم ما أمكن تقديمه من طاقاتها المخزونة. ورغم استمرار معوّقات مصالح الحكم ومعوقات أخرى فى هذا العصر، فإن إتاحة الفرصة للشعوب الإسلامية عامة وللإيرانيين خاصة للمساهمة فى إنماء دوحة الحضارة الإسلامية فجّر حركة علمية وثقافية وفنية لا نظير لها فى تاريخ الحضارات من حيث سرعتُها ومحتواها الإنسانى وانفتاحُها على الحضارات الأخرى. ليست كتب تاريخ الأدب العربى التى تناولت هذين القرنين بقليلة، لكنى حاولت فى هذا الكتاب ماحاولت فى سابقه[1] أن أراعى تبسيط اللغة والانسجام مع المنهج التدريسى والدراسة الموضوعية دون التأثر بموجات التنافر القومى والطائفى التى سادت زمنًا ــ مع الأسف ــ فى عالمنا الإسلامى، ولاتزال بقاياها قائمة حتى يومنا هذا.

حاولت فى هذا الكتاب أن أقترب من صور التعايش والتعاون والتفاعل الإيجابى البنّاء بين العرب والإيرانيين فى هذا العصر، ليتضح بطلان المزاعم التى أرادت أن تصوّر هذا العصر بأنه عصر صراع قومى، وأرادت أن تسىء إلى دور الإيرانيين لدى حديثها عن الزندقة والشعوبية والمجون.

ثمة اهتمام فى بعض كتب تاريخ الأدب بتصوير الموإلى (الإيرانيين) فى هذا العصر بأنهم «انحازوا إلى حركة الزندقة لإحياء الديانات الفارسية القديمة وتشويه الشريعة الإسلامية، وهدم القيم العربية وفسخ الكيان العربى الإسلامى وتصديعه وتقويضه»!! كما انحازوا للشعوبية «لمسخ ماضى العرب، وتحطيم حاضرهم الإسلامى، واستعلاء عليهم، وتحقيرٍ لهم، وبعث الشخصية الفارسية والخراسانية، وانسلاخ وانشقاق عن الدولة العربية الإسلامية»[2]!!

---

١. الأدب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الأموي، محمد علي آذرشب.

٢. انظر: قراءات في الأدب العباسي، د. أحلام الزعيم.

هذه الروح المتعصّبة تجافى حقائق كثيرة جمّة بشأن دور «الموالى» فى خدمة اللغة العربية وآدابها، وخدمة العلوم الإسلامية، وخدمة الجيش الإسلامى، بل حتى خدمة الحكم العباسى العربى. وتتجاهل دور الإيرانيين فى التصدى لكل حركة عنصريّة فارسية متعصبة ولكل انحراف عن الشريعة الإسلامية.

والغريب أن هذه الروح المتعصّبة نجدها حتى فى الحديث عن عظماء الشعر فى هذا العصر.

فبشّار زنديق «يعلن زندقته لايزدجر» و «لم تكن طبيعته بسيطة و لا ساذجة بل كانت معقّدة، فقد كان فارسى الأصل، ورث عن الفرس حدّة فى المزاج، ونشأ قنّا ابن قن..»!! وأنه «يستطيل على العرب» لأن العصر العباسى «عصر انتصار الفرس على العرب»!!

وأبونؤاس «كان فارسيًا حادّ المزاج»، «ويجدّف كثيراً ضد الدين الحنيف» و«يتمادى فى ذلک حتى ليعلن دهريته»!

وأبوالعتاهية «كانت طبيعته معقّدة»، «أصبح مخنّثا ثم ماجنًا ثم زاهداً على طريقة المانويين»[٣] ... وأمثال ذلک كثير.

هذا النوع من الأحكام المتسرعة على عظماء الأدب العربى يسىء إلى الحضارة الإسلامية بأجمعها قبل أن يسىء إلى قوم من الأقوام. على أى حال هذان القرنان يحتاجان إلى مزيد من الدراسة والتعمّق فى كل جانب من جوانب المعرفة فيهما. ولئن استدعت الضرورة الاختصار فى هذا الكتاب، فعسى أن يستطيع الطلبة عن طريق حلقات بحثهم ودراساتهم الخاصة التوسّع فى الجوانب الهامة من هذا العصر، خاصة فيما يرتبط بالتفاعل الثقافى الإيرانى ـــ العربى، و دور أئمة أهل البيت فى صيانة استمرار المسيرة الحضارية، والتعامل الحضارى بين الأفكار والتيارات المختلفة، وصور الإبداع الفنى الباهر فى الأدب، والمسائل الشائكة التى تحتاج إلى معالجات علمية بعيدة عن التعصب مثل: الشعوبية والزندقة والثورات والمجون وأمثالها.

لقد حاولنا أن نطرح فى الكتاب بعض التساؤلات وأن نقدّم وجهات النظر المختلفة لكى تكون حافزاً على مزيد من الدراسة لأنصع فترة من تاريخ أمتنا فكراً وإبداعًا وتعايشًا.

و يفرض علىّ الواجب أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من يسّر انتشار هذا الكتاب بين الطلبة الجامعيين، ولكل من أبدى لى ملاحظاته قبل الطباعة، ولجميع من ينبهنى فيما بعد على نواقصه وهفواته. ومن اللّه التوفيق.

محمد على آذرشب
أستاذ فى جامعة طهران
١٥ ذى القعدة ١۴٢٢ هجرية قمرية
٩ بهمن ١٣٨٠ هجرية شمسية
٢٠٠٢/١/٢٩م

مقدمة الطبعة الجديدة

بعد عدة طبعات من هذا الكتاب، أقدمت على إعادة نظر عامة فيه، فصححت و رممّت ليكون أقرب إلى الكتاب الدراسى.

٣. انظر: تاريخ الأدب العربى، د. شوقى ضيف، العصر العباسى الأول والثانى.

وأودّ أن أسجل فى هذه المقدّمة ملاحظة ترتبط بما ذكرته فى مقدمة الطبعة الأولى وهى أننا فى دراساتنا للعلوم الإنسانية عامة وللآداب خاصة يجب أن نضع نصب أعيننا هدفًا كبيراً يتمثل فى استئناف المسيرة الحضارية لهذه الأمة.

إن الظروف العالمية الراهنة وضعتنا أمام تحدٍّ كبير ... أمام خطر الإذلال والذوبان والإبادة. وليس أمامنا سوى تقوية بنائنا الداخلى لنستطيع أن نحافظ على التماسک والبقاء ... ومن ثم التقدم نحو استعادة مقومات الحياة.

أهم ما يمكن أن يساعدنا فى معركة البقاء هو ثقافتنا التى تمتلک عناصر الحياة والحركة والإنتاج الحضارى.

لئن تجمعت ظروف تاريخية وملابسات داخلية على إضعاف تلک العناصر وإخماد مفعولها، فنحن اليوم أمام مسؤولية تفعيلها، لتؤدى دورها كما أدته فى عصور الازدهار الحضارى.

أهمّ ما ينبغى تفعيله من تلک العناصر هو «التعارف» بين شعوب دائرتنا الحضارية الإسلامية. والتعارف هو «التبادل المعرفى». وهذا يتطلب اختراق تراكمات عصور التخلف والتنافر القومى والطائفى والتوجّه نحو رحاب إنسانى تكون فيه علاقاتنا مع الآخر: «إما أخ لک فى الدين أو نظير لک فى الخلق».

بهذا التوجّه سوف نتلقّى الآداب وكأنها صوت الإنسانية بكل ما فيها من إبداع جمالى وتحليق خيالى ومن آمال وآلام وتدفق شعور. وهذا يؤدى إلى ثراء فى الذوق والشعور، وانفتاح على آفاق جديدة فى الحياة، وبالتالى إلى حركة حضارية.

حين تكون قراءتنا للأدب بدافع استئناف حضارى، فإننا سننفتح على العوامل التى أدّت إلى الازدهار والعوامل التى عاقت المسيرة، إذ كل هذه العوامل تكمن فى «الشعور» والأدب أفضل تعبير عن مستوى الشعور.

أخيراً آمل أن يتفهّم الدارسون للآداب فى عالمنا الإسلامى الدور الذى يستطيع أن يؤديه الأدب فى الاستنهاض الحضارى، فكل تطور حضارى بدأ بحركة شعورية كانت وراءها الآداب والفنون.

وبهذا الفهم لدور الآداب تأخذ الكليات والمعاهد الأدبية مكانتها المناسبة فى الحرم الجامعى وفى أنظار مجتمعاتنا، وتنهض بدورها فى التطوير والتحديث والإبداع.

محمد على آذرشب
١٠ ربيع الثانى ١٥٣٠ هجرية قمرية
١٧ فروردين ١٣٨٨ هجرية شمسية
٢٠٠٩/٤/٦م